Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس بغريب على تراثنا الفكري العربي سواء ما قدّمه المناطقة والفلاسفة المسلمون، أو ما تطّرق له النقاد والبلاغيون، مع فهمنا للاختلاف والفروق في المرجعيات الثقافية لكلّ من الفكرين : العربي والغربي.

إن فكرة أبي حامد الغزّالي، مثلا، التي شرحها الغذّامي كانت متقدّمة قياسا إلى زمنها، حيث قدّم تصوّره عن علاقة الدّال بالمدلول على النحو التالي :

تصوّر الغزالي أن للشيء وجودا عينيّا وآخر ذهنيّا، وثالثا لفظيا، ورابعا كتابيا. فالشيء له وجود عيني كالشجرة نابتة في الأرض، ثم يكون له وجود ذهني، وهو أن ينشأ لها في ذهن الإنسان صورة تقوم في الذّاكرة. ومن ثم يأتي الوجود اللفظي، وهو كلمة (ش ج ر ة)، وهذه لا تشير إلى الوجود العيني، وإنما تشير إلى الوجود الذهني، لأن نطقنا بهذه الكلمة لا يحضر الشجرة التي على الأرض، وإنما يثير صورتها في الذهن، فالدّال هنا يثير دالاً آخر. واللفظ يجلب صورة، ثم يتحوّل الوجود اللفظي إلى كتابة، والكتابة تثير فينا اللفظ، لأنّ أوّل ما نفعل إذا صادفنا المكتوب هو أن نقوم بنطقه، وهذا النطق يجلب في الذهن صورة ذلك المنطوق[١٤]. ويرى الغذّامي أن تقسيم الغزالي هذا وشرحه سبق عصر السيميولوجيا بقرون، وكان حلاّ لمعضلة الدّال والمدلول[١٥].

وإذا ما تركنا الغزالي واقتربنا من بلاغيّ وناقد مثل عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، فإننا نجده في نظرية النظم يشير فكرة التركيب والدّلالة، من حيث يرى أن الجملة هي الوحدة الدّلاليّة الأولى. ويقول حمادي صمود : "إن المتتبع لأصول نظرية النظم عند الجرجاني يدرك أنها مبنية على أسس لغوية متطوّرة قوامها التمييز بين اللغة والكلام تمييزا يضاهي في دقته واستحكام نتائجه ما وصل إليه علم اللسانيات الحديثة"[١٦].